التنافس الاستعماري على نهب الاثار العراقية:

مع اوائل القرن التاسع عشر تزايد اهتمام الدول الاوروبية بالشرق، وسرعان ما تحول هذا الاهتمام الى تنقيب عشوائي عن الاثار رافق ذلك نهب الكثير من الاثار العراقية من قبل قناصل وممثلي الدول الاوروبية. وقد اثارت الرغبة في الكشف عن اثار العراق حماسة العام الاوروبي وبوجه خاص بريطانيا، حتى ان شركة الهند الشرقية المعروفة في لندن طلبت من ممثليها في البصرة ان يرسلوا الى بريطانيا الاجر المختوم بالكتابة المسمارية الذي بدأ يتسرب الى اوروبا في اواخر القرن الثامن عشر. ونشط العمل اكثر بإرسال مقيما لها في بغداد وهو كلوديوس ريج الذي شغل فضلا عن ذلك وظيفة القنصل البريطاني العام في بغداد عام ١٨٠٧، وقد بقي في منصبه الى ان توفي وهو في سن مبكرة عام ١٨٢١ بمرض الكوليرا. وقد امتاز ريج بموهبة في تعلم اللغات الشرقية، فكان يجيد العربية والتركية، وزار بقايا بابل عام ١٨١١،ورسم مخططات لها كما اجرى بعض التنقيبات فيها، وزار نينوى وجمع منها الالواح المسمارية. وكان مسكنه في بغداد مركزا وملتقى للرحالة والباحثين من امثال بكنغهام وبلينو وكير بورتر. ومن مشاهير في هذه الفترة روبرت مينان (١٨٢٧-١٨٢٨) الذي حفر في بابل ووجد اسطوانة من الطين منقوشة بالخط المسماري، وكذلك وليم انزورث وبيلي فريزر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

خلال منتصف القرن التاسع عشر تزايد التنقيب عن الاثار العراقية، ولكن هذا التنقيب كان بعيدا عن الاساليب العلمية، وكان اقرب ما يكون عن النبش لاستخراج الاثار الكبيرة كالمنحوتات. وقد اهملت الاثار الصغيرة القابلة للتلف مثل الواح الطين المسمارية، وكان الحفارون لا يستطيعون ان يميزوا دائما الجدران المبنية باللبن عن انقاض التراب والطين فأزالوا معالم الابنية القديمة المشيدة بهذه المادة، وتلفت مجاميع مهمة من الاثار بسبب اهمال تغليفها ووسائل النقل. وخلاصة القول كان هم اولئك المنقبين محصورا بالدرجة الاولى في استخراج التماثيل والالواح الحجرية الكبيرة المنحوتة وتزيين المتاحف الشهيرة في اوروبا بها.

بدأ التنقيب المكثف عن الاثار العراقية عام ١٨٤٢-١٨٤٣ في العواصم الاشورية في منطقة الموصل، وكان معظم المنقبين من قناصل الدول الاجنبية، واشتد التنافس ما بين الفرنسيين والانكليز، ففي اواخر عام ١٨٤٢ شرع القنصل الفرنسي بول اميل بوتا بفحص خرائب نينوى من فوق تل قوينجق، وبينما كان ينقب فيه اخبره رجل من اهل خورسباد بانه ،يستطيع ان

يجد اثارا اكثر وافضل في خورسباد، فنقل عمله الى هناك في مطلع عام ١٨٤٣وسرعان ما تحققت اخبار ذلك الرجل، اذ بدأ بوتا يستظهر المنحوتات الاشورية الشهيرة واصل عمله الى عام ١٨٤٤وشحن اول غنائمه الى فرنسا. وظهر على المسرح في هذه الفترة رجل انكليزي يدعى هنري لايارد، وقد شجعه نجاح بوتا في خورسباد على ان ينقب في نمرود عام ١٨٤٥وفي نينوى ففاز بكنوز اثارية شحنها الى لندن في عام ١٨٤٧،فكانت اولى الاثار الاشورية التي حاز عليها المتحف البريطاني. وقد اثار نجاح لايارد اهتماما وحماسا في بريطانيا مكناه من متابعة نشاطه الآثاري بالحفر في نينوى ولاسيما القسم المعروف منها بتل قوينجق، كما واصل العمل في نمرود من عامي ١٨٤٩الى ١٨٥١وتحرى ايضا عدة تلول اثرية في المنطقة. وبعد ان اعتزل العمل خلفه في النشاط الآثاري الانكليزي هنري راولنصون (١٨١٠-١٨٩٥) ، وخلف بوتا الفرنسي فكتور بلاس. وقام في هذه الفترة تنافس مشين بين الفرنسين والبريطانيين، اما بلاس فقد واصل التحريات في خورسباد، في حين تابع راولنصون ومساعده هرمزرسام التنقيبات في نينوى فظفرا بمجاميع نفيسة من المنحوتات الاشورية. ولم يقتصر التنافس الانكليزي-الفرنسي في نهب الاثار على مناطق شمال العراق، بل امتد الى جنوبي العراق لاسيما في التلول الاثرية المشهورة باسم تلو في الناصرية، حيث سمع القنصل الفرنسي في البصرة اميل دي سارزك بما يحتوي عليه ذلك الموقع من كنوز اثرية، وسرعان ما شرع في نهبه عام ١٨٧٧-١٨٧٨بدون اذن رسمي من الدولة العثمانية، وغنم كميات كبيرة من الاثار السومرية القيمة من بينهما المنحوتات والكتابات، وقد باعها الى متحف اللوفر بمبلغ ١٣٠٠٠فرانك. وفي اثناء غياب دي سارزك اسرع هرمزرسام في نهب المنطقة الاثارية لصالح عن المتحف البريطاني.

دخلت الولايات المتحدة الامريكية الى ميدان التنافس عن الاثار عام ١٨٧٧عندما ارسلت جامعة بنسلفانيا بعثة اثارية برئاسة بيترز استاذ اللغة العبرية في تلك الجامعة، ومساعده هلبرشت للتنقيب في منطقة نفر بالقرب من عفك واستخرجت منها عشرات الالوف من الالواح الطينية المسمارية المهمة. ولعل اخر التنقيبات التي سبقت الحرب العالمية الاولى تنقيبات فالتراندرية الالماني في اشور وزميله روبرت كولديفاي في بابل .